

المجنون

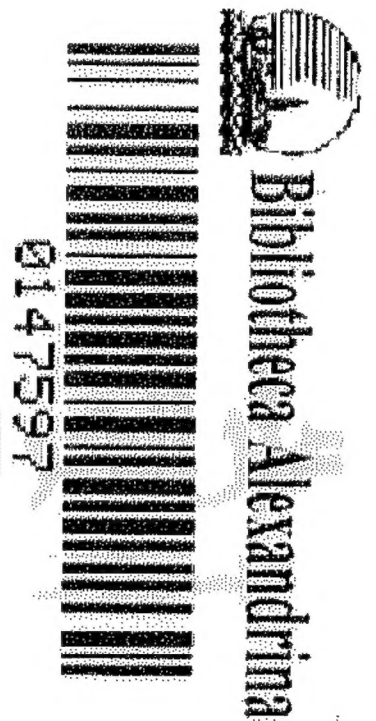
بني هوري

لجبران خليل جبران

ترجمة
أنطونيوس بشير



الترجمة العربية الوحيدة
التي أقرها جبران



المجنون

بمجهز

أمثاله وأشعاره

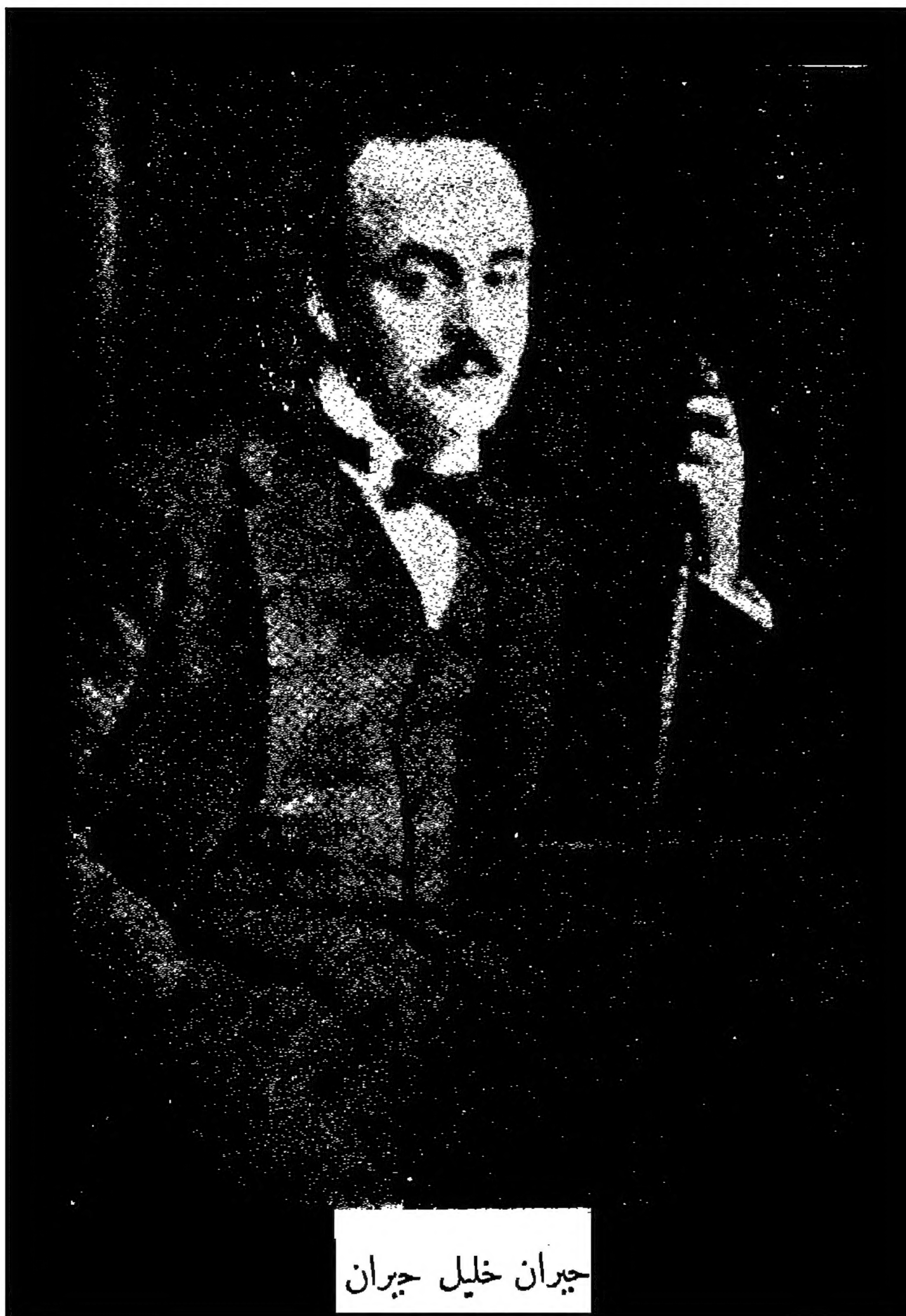
جبران خليل جبران

ترجمة

أنطونيوس بشير

[الترجمة العربية الوحيدة التي أقرها جبران]

دار العرب
للطباعة



جیران خلیل جیران

كلمة الناشر

بين يدي القارئ الكريم أحسن ما سطره جبران خليل جبران بدم قلبه ،
فهو القائل : « ليس من يكتب بالحبر كمن يكتب بدم القلب » .

كان جبران يرأسل والدي الشيخ يوسف البستاني في العشرينات ، ولم
يكن جبران في ذلك الوقت قد ذاع صيته وانتشر نتاج فكره في العالم
العربي .

ولكن القلم العربي الذي لا يلحن ولا ينقل الفكر الإنجليزى المكتوب
إلى ترجمة عربية فحسب ، وجد سبيله عند جبران في شخص صديقه
الأرشمندريت أنطونيوس بشير الذي عاش في أمريكا أيضا مهاجرا ، لهذا
رأينا جبران يكلف بشيرا بترجمة « النبی » إلى العربية ، ومن ثم ولدت الطبعة
الأولى لهذا الكتاب عام ١٩٢٦ ، ثم تبع ذلك كتاب « كلمات » ،
و « رمل وزبد » ، و « دمة وابتسامة » ، و « البدائع والطرائف » ،
و « المجنون » ، و « يسوع ابن الإنسان » وغير ذلك مما نسجه جبران
بريشته .

وقد كان الغش التجاري سمة من سمات الناشرين والمترجمين في العالم
العربي ، فظهرت طبعات مزورة لا تشير إلى الناشر الأول أو المترجم
مستكفية بصورة جبران وتأليف جبران خليل جبران . وظهر مترجمون
آخرون وفقهم الله في مسعاهم وجهدهم في سبيل ترجمة أفكار جبران ،

ولكن بقي شيء واحد — لا شك فيه — وهو أن هذه الترجمة للنبي هي الوحيدة التي أقرها جبران وراجعها وبعث بها إلى والدي في العشرينيات، وكان والدي في ذلك الوقت يملك متجرًا في درب الجمايز (١) ثلاثة أمتار في متر واحد!! ولم يطمع جبران في مال يغرفه من أبي، بل اكتفى ببعض النسخ لتوزيعها على أصدقائه في المهجر.

هذه هي قصة هذه الطبعة! بقي أن يعرف القارئ كيف أرادت الصهيونية العالمية تهويد جبران خليل جبران ونقله عن عقيدته وعروبه... هذا ما كشف عنه المترجم الأول والوحيد لجبران في الفصل الأخير من الكتاب...

لقد عاش جبران عربيًا ومات عربيًا... لقد خدم جبران أهله وعشيرته في نقل أفكاره إلى لغات العالم. لقد ضغط جبران روحه وهو يقول: «ليس فكرًا أخلفه ورأى، بل قلبًا جمّلته مجاعتي وجعله عطشي رقيقًا خفوقًا». ثم يسترسل فيقول: «كانت أيام كآبتي طويلة ضمن جدران هذه المدينة... وأطول منها كانت ليالي وحدتي وانفرادي، ومن ذا يستطيع أن يفصل عن كآبته ووحدته من غير أن يتألم في قلبه؟».

صلاح الدين البستاني

القاهرة في أول يناير ١٩٨٥

(١) أحد أحياء القاهرة القديمة المجاور للأزهر الشريف.

كيف صرْتُ مجنوناً

هذه قصتي إلى كل من يودُّ أن يعرف كيف
صرْتُ مجنوناً : فى قديم الأيام قبل ميلاد كثيرين
من الآلهة نهضتُ من نومٍ عميق فوجدتُ أن جميع
براقعى قد سُرقَتْ ، — البراقع السبعة التى حبكتُها
وتقنعتُ بها فى حيواتى السبع على
الأرض . — فركضتُ سافر الوجه فى الشوارع
المزدحمة صارخاً بالناس ، « اللصوص !
اللصوص ! اللصوص الملاحين ! » فضحك
الرجال والنساء منى وهربَ بعضهم إلى بيوتهم
خائفين مذعورين .

وعندما بلغت ساحة المدينة إذا بفتى قد انتصب

على أحد السطوح وصرخ قائلاً : « إن هذا الرجل
مجنون أيها الناس ! » وما رفعت نظري لأراه حتى
قبلت الشمس وجهي العاري لأول مرة . لأول مرة
قبلت الشمس وجهي العاري فالتهمت نفسي بمحبة
الشمس ولم أعد بحاجة إلى براقعي . وكأنما أنا في
غيوبة صرخت قائلاً ، « مباركون ، مباركون
أولئك اللصوص الذين سرقوا براقعي » .

هكذا صرث مجنوناً ، ولكنني قد وجدت
بجنوني هذا الحرية والنجاة معاً : حرية الانفراد ،
والنجاة من أن يدرك الناس كياني ؛ لأن الذين
يدركون كيائنا إنما يستعبدون بعض ما فينا .

ولكن لا أفخرن كثيراً بنجاتي ، فإن اللص وإن
كان في غيابة السجن فهو في مأمن من أقرانه
اللصوص .

الله

عندما ارتعشت شفتاي بالنطق لأول مرة ،
صعدتُ إلى الجبل المقدس وناديتُ الله قائلاً :
« إننى عبدك يا ربى ؛ مشيئتُك الخفيةُ شريعتى ،
وسأظلُّ خاضعاً لك سحابةَ الحياة » .

فلم يُجبني الله ، بل مرّ كعاصفةٍ هوجاءٍ
واختفى عن ناظرى .

وبعد ألف سنةٍ صعدتُ ثانيةً إلى الجبل المقدسِ
وخاطبتُ الله قائلاً : « أنا جيلةٌ يديك يا خالقى ،
من تراب الأرض صنعتنى وبنفحةٍ من روحك
العلويةِ أحييتنى . فأنا مدينٌ لك بكليتى » .

فلم يُجِبْنِي اللهُ ، وكألفٍ من الأجنحة الخاطفة
اجتاز بي عابراً .

وبعد ألف سنةٍ صعدتُ إلى الجبل المقدس أيضاً
وناجيتُ اللهَ ثالثةً قائلاً : « يا أبتاه القدوس ، أنا
ابنك الحبيب . بالرفقة والمحبة ولدتنى ، وبالمحبة
والعبادة سأرثُ ملكوتك » .

فلم يجِبْنِي اللهُ فى هذه المرة أيضاً . وكالضباب
الذى يغشى قصيَّ التلال توارى عن عينيَّ .

وبعد ألف سنةٍ صعدتُ إلى الجبل المقدس
وخاطبتُ اللهَ رابعةً قائلاً : « يا إلهي الحكيم
العليم ، يا كمالى ومحجَّتى . أنا أمسُك وأنت
غدى . أنا عروق لك فى ظلمات الأرض وأنت
أزاهر لى فى أنوار السماوات ، ونحن ننمو معاً أمام
وجه الشمس .

فعطف الله إذ ذاك على ، وانحنى فوقى وهمس
فى أذنى كلماتٍ تذوب رقةً وحلاوة ، وكما
يظوى البحر جدولاً منحدرًا إليه طوانى الله فى
أعماقه .

وعندما انحدرتُ إلى الأودية والسهول كان الله
هنالك أيضاً .

* * *

يا صاحبي

يا صاحبي : إني لستُ على ما يبدو لك مني ،
فما مظاهري سوى رداءٍ دقيقِ الصُّنعِ مَحوِكٍ من
خيوطِ التساهلِ والحُسنِ ، أَلتُّفُّ به ليدراً عني
تطفلك ويقيك من إهمالي وتغافلي . وأما ذاتي
الخفيةُ الكبرى التي أدعوها أنا فسرٌّ غامضٌ مكنونٌ
في أعماقِ سكونِ نفسي ولا يدركه أحدٌ سواي ؛
وهناك سيبقى أبداً غامضاً مستتراً .

يا صاحبي : إني أودُّ ألا تُصدقَ ما أقول
وَألا تثقَ بما أفعل ، لأن أقوالي ليست سوى صدى
لأفكارك ، وأفعالي ليست سوى أشباح آمالك .

يا صاحبي : عندما تقول لي : « الريح تهبُّ شرقاً » . أجيبك على الفور قائلاً ، « بلى ، إنها تهبُّ شرقاً » ، لأنني أريد ألا يخطر لك أن أفكارى السابحة مع أمواج البحر ، لا تستطيع أن تحلق طائرةً على متون الرياح . أما أنت فقد مزقت الأرياح نسيج أفكارك القديمة البالية ، فبتَّ قاصراً عن إدراك أفكارى العميقة المرفرفة فوق البحار . وحسنٌ أنك لم تدرك كُنْهها ، لأنني أريدُ أن أمشي على البحر وحدي .

يا صاحبي ! عندما تبرز شمس نهارك تدنو ظلمة ليلي ، ومع ذلك فإنني أحدثك من وراء ستائر ظلمتي عن أشعة الشمس الذهبية التي ترقص عند الظهيرة على قنن الجبال ، وعما تحدثه في رقصها من الأظلال الظليلة المُنسابة إلى الأودية

والحقول — أحـبـدثـك عن كل ذلك لأنك
لا تستطيع أن تسمع أناشيد ظلمتى ، ولا أن ترى
خفقان جناحي بين الكواكب والنجوم . وما أحلى
أنك لا تسمع ولا ترى ، ذلك لأننى أؤثر أن أسامر
الليل وحدى .

يا صاحبي ! عندما تصعد إلى سمائك أهبط إلى
جحيمي . ومع أنه تفصلنى عنك هوة لا يستطيع
عبورها ، تظل تنادينى قائلاً : « يا رفيقى
يا صاحبي » فأجيبك : « يا رفيقى ، يا صاحبي »
لأننى لا أريد أن ترى جحيمي ، فإن لهيبه يُحرق
باصرئك ، ودخائه يسدُّ منخريك . أما أنا فإننى
أضنُّ بجحيمي أن يزوره من كان على شاكلتك ؛
لأننى أفضل أن أكون فى جحيمي وحدى .
يا صاحبي ! أنت تقول إنك تعشق الحق

والفضيلة والجمال ؛ وأنا أقول مقتدياً بك إنه يليق
بالإنسان أن يعشق مثل هذه المناقب ؛ غير أنني
أضحك من محبتك في قلبي سائراً ضحكي عنك ؛
لأنني أريد أن أضحك وحدي .

يا صاحبي ! إنك رجل فاضل متيقظ حكيم ؛
بل إنك رجل كامل . ولذلك فإني ضناً بكرامتك
أخاطبك بحكمة وتيقظ — ولكنني مجنون
منجذب عن العالم الذي تقطنه أنت إلى عالم غريب
بعيد ، وإنني أستر عنك جنوني لأنني أود أن أكون
مجنوناً وحدي .

أنت لست بصاحبي ، يا صاح ! ولكن كيف
السبيل لإقناعك فتفه وتفههم ؟
إن طريقي غير طريقك ، ولكننا نمشي معاً جنباً
إلى جنب .

* * *

اللعين^(١)

قلتُ مرةً للعين : « ألم تسأم نفسك الإقامة في
هذا الحقل وحيداً منفرداً ؟ » .
فأجابني قائلاً : « إنَّ لي في التخويف لذةً
لا يُسبرَ غورها ، ولذا فإنني راضٍ عن عملي
ولا أمله » .
ففكرتُ هنيهةً ثم قلتُ له : « بالصواب
أجبتُ ، فإنه قد سبق لي فخبرتُ هذه اللذة
بنفسي » .

(١) هو الشاخص الذي ينصب في هيئة الرجل بين الزرع
لطرده الوحوش .

فأجابني قائلاً : « إنك واهمٌ يا هذا ، فإن هذه
اللذة لا يعرف طعمها إلا من كان محشواً بالقش
مثلى » .

فتركته إذ ذاك ، وانصرفْتُ وأنا لا أدري هل
مدحني أم تنقّصني » .

وانقضى عامٌ صار اللّعين في أثناءه فيلسوفاً
علامةً . وعندما مررتُ به ثانيةً رأيتُ غرايين ينيان
عشاً تحت قبّعتِه .

* * *

بين هجعةٍ ويقظة

كان في المدينة حيثما وُلدتُ امرأةً وابنةً ،
وكانت لهما عادةٌ أن تمشيا وهما نائمتان .

فحدث في إحدى ليالى الصيف الهادئة
الجميلة ، أن نهضت الأم وابنتها من نومهما على
جاري عاداتهما ، ومشتا — وهما نائمتان — في
حديقتهما المبرقة بالضباب .

وفيما هما ماشيتان قالت الأم لابنتها : « تَبَّا لكِ
من عدوٍ شرير ! أنتِ التى هَدَمْتُ شبابي وبنَّتْ
حياتها على أنقاض حياتي ! آهِ لو أستطيع أن
أقتلك ! » .

فأجابت الابنة وقالت : « أيتها المرأة
الممقوتة ، والحيزبون الأنانية الرثة ، القائمة بيني
وبين ذاتي الطليقة ! يا من تودُّ أن تكون حياتي
صدي لحياتها الرثة البالية ! ألا ليتك تهلكين ! » .
وفي تلك اللحظة صاح الديك فأفاقنا معاً من
نومهما ، وهما بعدُ في الحديقة ماشيتان .
فقالت الأم بلطف : « أذاك انتِ
يا حمامتى ؟ » . فأجابت الابنة بحلاوة : « نعم
أنا ابنتك يا حنونتي ! » .

* * *

الكلب الحكيم

مرَّ كلبٌ حكيم ذات يوم بجماعة من السنانير .
ولما دنا منهم رأهم منصرفين عنه ولم يعبأوا
بقدومه . فوقف يتأملهم مستغرباً أمرهم .
وفيما هو يحدق إليهم نهض من بين الجماعة
سنور بادنٌ تبدو على وجهه أمانثر الهيبة والوقار ،
فنظر إلى رفقائه وقال لهم : « صلوا أيها الإخوة
المؤمنون ، فإنني أقول لكم إنكم إذا صليتم
وكررتم صلاتكم بحرارة ، يُستجاب تضرُّعكم
وتمطر كم السماءُ فثراً في الحال » .
فلما سمع الكلب الحكيم تلك العظة البالغة ،

ضحك منهم في قلبه وارتد عنهم وهو يردد في ذاته
قائلاً : « ما أغبى هؤلاء السنائير وما أعمى
بصائرهم عن إدراك ما في الكتب ! أليس مكتوباً ،
بل ألم أقرأ أنا ، وأجدادى من قبل أخبرونى أن
ما تمطره السماء إجابةً للصلوات والتضرعات
والابتهالات : ليس فقراناً ، بل عظاماً ؟ »

* * *

الناسكان

عاش ناسكان فى قنة جبل عالٍ ، وكانا دائبين
فى عبادة الله وحبهما الواحد للآخر .

وكان لهما ناسكين قصعة من الخزف لم
يكن لهما غيرها مقتنى .

ففى أحد الأيام وسوس الخناس فى قلب
الناسك الكهل ، فجاء إلى رفيقه الشاب وقال له :
« لقد مضى على حياتنا معاً زمنٌ طويل ، وقد آن لنا
أن نفرق .. ولذا فإنى أريد أن نقسم مقتنياتنا » .
فاكتأب الناسك الشاب وأجابه قائلاً : « إن
انفصالك عنى يجرح قلبى ، وحقك يا أخى .

ولكن إن كان ثمة من ضرورة لذهابك ، فلتكن
مشيئتك .

ثم تناول القصعة الخزفية بيده وقال له : « إن
هذه القصعة هي كل ما نقتنى أيها الأخ العزيز ،
ولما كانت قسمتها بيننا مستحيلة فأرى أن تكون
لك وحدك » .

فأجابه الناسك الكهل وهو يتميز غيظاً قائلاً :
« إننى لا أطلب منك صدقة ولا أقبل متاعاً ليس
لى ؛ ولذا يجب أن تُقسم القصعة فينال كل منا
نصيبه منها » .

فقال له الشاب بهدوء : « إذا قسمنا القصعة
فأية منفعة ترجى من قسمتها ، سواء لك أم لى ؟
فدعنا إن حسنَ لديك نقترع عليها » .

فأجابه الكهل وقال : « إننى لا أريد سوى

حصتي كما تقضي العدالة بيننا . ولن أرضى بته عن
القرعة العمياء ، التي تحط من قدر العدالة وتجعلني
مقارماً أعرض العدالة - وحصتي للصدفة - ولذا
أطلب قسمة القصعة .

فلم يبق إذ ذاك مجال للشباب أن يبحث معه في
الموضوع ، فقال له : « إذا كانت هذه حقيقة
رغبتك أيها الأخ الحبيب ووددت أن يكون الأمر
على ما وصفت ، فلنقسم القصعة » .
فأسودَّ وجهُ الناسك الكهل وصرخ به قائلاً :
« تباً لك ، ما أجبنك وما أقعدك عن الخصام أيها
الخامل البليد ! »

اطلبوا تجدوا

كان فى قديم الزمان إنسان ، وكان له ملء وادٍ
من الإبر .

ففى أحد الأيام جاءت إليه أم يسوع وقالت له :
« يا صاحب ، إن رداء ابنى مشقوق ، وأريد أن
أرتقه له قبل أن يذهب إلى الهيكل ، أفلا تقرضنى
إبرة ؟ »

فلم يُعطيها إبرة . غير أنه أعطاها عظة بالغة
كانت عنده ، موضوعها « اطلبوا تجدوا » ، لكى
تأخذها إلى ابنها قبل أن يذهب إلى الهيكل .

الذوات السبع

فى سكون الليل العميق وقد بدأ النعاس
يغالبنى ، جلست ذواتى السبع يتحادثن .
فقالـت الذات الأولى : « لقد مرّت الأيام
والأعوام على وجودى فى هذا المجنون ، وليس
لى ما أفعله سوى تجديد آلامه نهاراً وأحزانه ليلاً .
وقد كرهت نفسى القيام بهذه الوظيفة المملة
فلأثورنّ عليه » .

فأجابتها الذات الثانية قائلة : « إنك أوفر منى
حظاً يا أختاهُ ، فقد قدّو لى أن أكون شريكاً لهذا
المجنون فى أفراحه وملذاته ، فأضحك لضحكـه

وأترنم في ساعات سروره وبأقدام مثلثة الأجنحة
أرقص لأفكاره البراقة ؛ فإن تكن ثورة ، فمن أحقُّ
بها مني ؟ » .

فقلت الذات الثالثة : « أواه أيتها الرفيقتان ، إن
عملي أدعى إلى الثورة من عملكما . فأننا الذات
المريضة حباً ، المتلهبة شوقاً ، الهائمةً حيناً !
ألا إن الثورة على هذا المجنون من شأني ، وأنا
ذات الشقاء والأسى ! » .

فقلت الرابعة : « إنني أكثر منك شقاءً أيتها
الرفيقات ، فقد قدر لي أن أثير كوامن البغض
وأوقظ نيران الكره والحق في قلب هذا المجنون ،
فأنا — الذات الثائرة الهوجاء المولودة في كهوف
الجحيم السوداء — أحق منك بالثورة على
مهمتي » .

وقالت الذات الخامسة : « إننى أغبطكن جميعاً
أيتها الأخوات بما قُدر لكن من العمل السعيد ،
فقد أثر الدهر أن أجدد أحلام هذا المجنون التى
لا تنتهى ، وأهيج جوعه وعطشه اللذين
لا يسكنان ، هائمةً به على وجهى فى فضاء
اللانهاية من غير أن أتذوق طعم الراحة ، ناشدةً
ما لم يُعرف قط وما لم يُخلق بعد ؛ فأنا .. أنا أولى
منكن بالثورة والعصيان . »

فقالت الذات السادسة : « ما أسعدكن أيتها
الأخوات وما أتعسنى وأشقانى ! فأنا الذات
المشتغلة العاملة الحقيرة ، التى بيديها الدائبتين
وعينيها الساهرتين ترسم من أيامها صوراً ، وتمنح
العناصر الدنيئة العادمة الشكل أشكالاً جميلة
خالدة — ألا إنه أجدر بى أنا الذات المعتزلة

الهادئة أن أنقم وأثور .

فتطلعت الذات السابعة في كلّ منهنّ وقالت :
« أف منكنّ جميعاً ! ما أغرب ثورتكنّ على هذا
الرجل المسكين بحجة أن لكل منكنّ عملاً
محدوداً . حبذا لو أسعدتنى الأيام بعمل محدود
كأعمالكنّ ، فأنا ذات بطالة لا عمل لها ، أجلس
أبدًا بين اللانهايتين — الصمت والظلام — في
حين أن كل واحدة منكنّ دائبة في تجديد الحياة
على تنوع مظاهرها . بربكن قلن لي أيتها
الشقيقات ، من منا أحق بالثورة أنتن أم أنا ؟ »
ولما فرغت الذات السابعة من كلامها نظرت
إليها الذوات الست بشفقة وحنان ، ولم يحرن
جواباً .

وجنّ الليل فرقدن وفي طيات صدورهنّ

استسلام جديد ، وخضوع سعيد ، كل لما قسم
لها من الواجب المحدود !
أما الذات السابعة فظلت شائخة تُراقب
الاشياء ، الذي وراء كل شيء .

. * * *

الحرب

وكان عرسٌ في قصر الأمير في إحدى الليالي ،
وكان المدعوون يدخلون ويخرجون . فدخل
رجلٌ مع الداخلين وحى الأمير باحترام ووقار .
فنظر إليه الجميع بدهشة ، لأن إحدى عينيه مفقورة
والدم ينزف من ثقرتها الفارغة .

فسأله الأمير قائلاً : « ما دهالك يا صاح ؟ »
فأجابه الرجل قائلاً : « أنا لصٌ أيها الأمير ، وقد
اغتنمت فرصة في ظلمة هذه الليلة على جارى
عادتى ، وذهبت لأسرق أموال أحد الصيارفة .
وفيما أنا أتسلق الجدار لأدخل دكان الصيرفى ،

ضللتُ سبيلي ودخلتُ من نافذة جاره الحائك .
فعدوت طالباً الهرب وأنا لا أبصر شيئاً لشدة
الظلام ، فلطم نول الحائك عيني وفقرها . ولذلك
قد أتيتك الآن ملتمساً أن تنصفني من الحائك » .
فأرسل الأمير واستدعى الحائك . فأحضر
الحائك في الحال . فأمر الأمير أن تعلق
عينه .

فقال له الحائك : « بالصواب حكمت أيها
الأمير ، فإن العدالة تقضى بقلع عيني . ولكنه غير
خافٍ على سموك أنني أحتاج في حرفتي إلى عيين
لكي أرى حاشيتي الشقة التي أنسجها . غير أن لي
جاراً إسكافاً له عيان مثلي ، ولكنه لا يحتاج في
مهنته إلا إلى عين واحدة . فاستدعِهِ إن أردت وأقلع
إحدى عينيه للمحافظة على الشريعة » .

فأرسل الأمير في الحال واستدعى الإسكاف ،
فحضر واقتلعت عينه .

وهكذا تأيدت العدالة !

* * *

الثعلب

خرج الثعلب من مأواه عند شروق الشمس .
فتطلع إلى ظله مندهلاً وقال : « سأتغذى اليوم
جمالاً ! » . ثم مضى في سبيله يفتش عن الجمال
الصباح كله . وعند الظهر تفرس في ظله ثانية
وقال مندهشاً : « بلى ، إن فأرة واحدة
تكفيني » .

* * *

الملك الحكيم

كان في إحدى المدن النائية ملكٌ جبارٌ حكيم ،
وكان مخوفاً لجبروته ، محبوباً لحكمته .

وكان في وسط تلك المدينة بئر ماءٍ نقى
عذب ، يشرب منه جميع سكان المدينة من الملك
وأعوانه فما دون ، لأنه لم يكن في المدينة بئر سواه .
وفيما الناس نيامٌ في إحدى الليالي ، جاءت
ساحرة إلى المدينة خلصةً وألقت في البئر سبع نقطٍ
من سائل غريب وقالت : « كل من يشرب من هذا
الماء فيما بعد يصير مجنوناً » .

وفي الصباح التالي شرب كل سكان المدينة من
ماء البئر ، وجنّوا على نحو ما قالت الساحرة .

ولكن الملك والوزير لم يشربا من ذلك الماء .
وعندما بلغ الخبر آذان المدينة ، طاف سكانها
من حيّ إلى حيّ ومن زقاق إلى زقاق وهم يتسارّون
قائلين : « قد جُنَّ ملكنا ووزيره . إن ملكنا ووزيره
قد أضاعا رشدهما . إننا نأبى أن يملك علينا مليك
مجنون . هيا بنا نخلعه عن عرشه ! » .

وفي ذلك المساء سمع الملك بما جرى ، فأمر على
الفور بأن يملأ حق ذهبى (كان قد ورثه عن أجداده)
من مياه البئر . فملأوه فى الحال وأحضروه إليه . فأخذه
الملك بيده وأداره إلى فمه . وبعد أن ارتوى من مائه
دفعه إلى وزيره ، فأتى الوزير على ثمالة .

فعرف سكان المدينة بذلك وفرحوا فرحاً عظيماً
جداً ، لأن ملكهم ووزيره ثابا إلى رشدهما .

الطموح

جلس ثلاثة رجالٍ إلى خوانٍ في حانة . وكان
الأول حائكاً والثاني نجاراً والثالث حفار قبور .
فقال الحائك لرفيقه : « قد بعْتُ اليوم كفنًا
بديعاً من الكتان بدينارين ، فلنشرب ما طاب لنا
من الخمر » .

فأجابه النجار وقال : « أما أنا فقد بعْتُ أثمن
نعشٍ عندي . فلنأكل أفخر اللحوم مع الخمر » .
فقال لهما حفار القبور : « إنني لم أحفر اليوم
سوى قبر واحد أيها الصديقان ، ولكن الذي
استأجرني دفع لي الأجر مضاعفاً . فلنستحلّ بقليل

من العسل » .

فحفلت الخمارة بهم فى تلك الليلة ، لأنهم طلبوا الخمر واللحم والعسل غير مرة ، وكانوا قضون طرباً .

أما صاحب الحانة فكان يتلفت بين آونة وأخرى إلى زوجته متبسماً وهو يكاد لا يصدق ما يراه بعينه . لأن ضيوفه الثلاثة كانوا ينفقون المال من غير حساب .

وظلّ الأصحاب فى الحانة إلى ساعة متأخرة من الليل يأكلون ويشربون . وبعد أن امتلأوا من كل شىء انصرفوا وهم يغنون ويضجّون .

وكان صاحب الحانة وزوجته واقفين بباب حانتهم يشيّعان ضيوفهما بأنظارهما .

فقالت المرأة لزوجها : « حبذا لو يُسعدنا

الحظ في كل يوم بمثل هؤلاء الزبائن الكرماء
الشرفاء ، فإننا نتمكن وقتئذ من إعفاء ابننا الوحيد
من خدمة هذه الحانة القذرة ، ونستطيع تعليمه
ليصبح في المستقبل قسيساً .

* * *

اللذة الجديدة

اخترعتُ في ليلتي الماضية لذةً جديدة .
وبينما كنت أتمتع بها للمرة الأولى ، رأيتُ
ملاكاً وشيطاناً قد وقفا بياي يتخاصمان ويتناقشان
على تعريف لذتي .
فكان الأول يصرخ بأعلى صوته قائلاً : « إنها
خطيئة مميتة ! »
فيعرضه الثاني قائلاً بصوت أشدّ من صوته :
« لا لعمري إنها فضيلة ! » .

* * *

اللغة الأخرى

حدث أنه بعد ميلادى بثلاثة أيام كنتُ متكئاً فى مهدى الحريرى ، أتفرس بلهفة غريبة فى العالم الجديد حوالى .

فقلت أُمى للمرضع : « كيف حال ولدى اليوم ؟ » فأجابتها قائلة : « هو بخير يا سيدتى ، فقد أطعمته ثلاث مرات .. ولم أَرَقْ قطُّ قبله طفلاً بشوشاً مثله » .

فما سمعتُ ذلك حتى ثار ثائر غضبى وصرختُ قائلاً : « لا تصدقنى ، لا تصدقنى ذلك يا أماه ؛ فإن فراشى خشن الملمس ، والحليب الذى رضعته مرّ المذاق ، ورائحة الثدى كريهة فى أنفى ، فيا

شَدَّ ما بي من شقاء ! » .
فلم تفهم أُمِّي لغتي ، وكذلك الموضع لم تفقه
ما قلتهُ لأنني خاطبتهما بلغة العالم الذي أتيتُ منه .
وفي اليوم الحادي والعشرين لولادتي ، وهو
اليوم الذي تعمدت فيه ، قال الكاهنُ لأُمِّي : « إنني
أهنئك يا سيدتي ، لأن ابنك وُلدَ مسيحياً » .
فقلتُ للكاهن مندهشاً : « إذا كان الأمر كما
تقول ، فأحر بأملك التي في السماء أن تكون تعسة
بك ، لأنك لم تولدَ بعدُ مسيحياً » .
فلم يفهم الكاهن ما قلتهُ لهُ بلغتي .
وبعد سبعة أعمار جاءنا عرافٌ فتفرس في وجهي
ملياً وقال لأُمِّي : « إن ابنك هذا سيكون زعيماً
داهيةً ، وسيتبعه الناس طائعين » .
فصرختُ بأعلى صوتي قائلاً : « تلك نبوءةٌ

كاذبة ، فأنا أدري بنفسى وأعلم يقيناً أننى سأدرس
الموسيقى والغناء ، ولن أكون إلا موسيقياً » .

ولشدّ ما دهشت إذ لم يفهم أحدٌ لغتى ، مع
أننى كنتُ قد بلغت ذلك الحدّ من عمرى .

ولقد مرّ على ذلك ثلاثٌ وثلاثون سنةً ، وقد

ماتت أمى والمرضع والكاهن (ظلل الله أرواحهم
برحمته) . أما العراف فلا يزال حياً يُرزق . وقد

رأيتُه فى الأمس أمام الهيكل فحدثته وحدثنى ،

وأطلعته على انخراطى فى سلك أبناء الموسيقى

فقال لى : « قد طالما وثقتُ بأنك ستكون موسيقياً

كبيراً ، ولقد سبقْتُ فى أيام طفولتك فأنبأتُ أمك

بمستقبلك هذا » .

فصددتُ قوله ، لأننى أنا نفسى نسيْتُ لغة العالم

الذى أتيتُ منه .

الرمّانة

عشتُ مرةً في قلب رمّانة . وبينما أنا جالس
يوماً في خلّيتي سمعتُ حبةً تقول : « سأصير في
المستقبل شجرة متعالية ، تترنم الأرياح بأغصانها
وترقص الشمس على أوراقها ، وسأكون قويةً
جميلة على ممرّ الفصول » .

فأجابت حبةً ثانية وقالت : « ما أجهلك أيتها
الرفيقة ! فإني حين كنتُ صغيرةً مثلك حلمت
أحلامك . ولكنني بعد أن صرتُ قادرةً على تحديد
كل شيء بمقياس ومقيار ، أدركت أن جميع آمالي
كانت باطلة » .

ثم قالت حبةٌ ثالثة : « أما أنا فإننى لا أرى فينا ما ينبىءُ بمثل هذا المستقبل العظيم » .

فأجابت حبةٌ رابعة وقالت : « إذا لم ترم حياتنا إلى مستقبل أنبل وأبهى ، فباطلةٌ هي » .

فوقفت إذ ذاك حبة خامسة وقالت : « ما بالنا نتجادل فيما سيؤول إليه أمرنا فى المستقبل ، فى حين أننا لا نعرف ما نحن عليه اليوم ؟ » .

فقالت حبة سادسة : « إننا سنظل أبداً على ما نحن عليه الآن » .

فأجابتها حبة سابعة قائلة : إن فى ذهنى صورة واضحة للمستقبل ، ولكننى لا أستطيع أن أرسمها بالألفاظ » .

ثم تكلمت حبة ثامنة وتسعة وعاشرة وحبوب كثيرة حتى تكلم الجميع ، فلم أفهم شيئاً لوفرة

الأصوات وبليلتها .

فتركت الرمانة في ذلك اليوم وأتيت فسكنت
في سفرجلة ، حيث لا يوجد إلا قليل من الحبوب
تعيش بصمتٍ وسكون .

* * *

القفصان

كان في حديقة أبي قفصان .
وكان في أحدهما أسدٌ أحضره عبيد أبي من
براري نينوى ، وفي الثاني زرزورٌ غريدٌ لا يملُّ
الإنشاد .

وكان الزرزور يأتي في كل فجرٍ إلى الأسد ،
فيحييه قائلاً له : « عم صباحاً يا أخى السجين » .

* * *

النملات الثلاث

اجتمع ثلاث نملات على أنف رجل كان نائماً
فى الشمس . فحيت كل منهن الأخرى بتحيةة
قبيلتها . ثم وقفن هنالك يتحدثن .

فقالت النملة الأولى : « إن هذه التلال والسهول
التي نحن عليها اليوم ، هى أقفر جهة وطئتها فى
حياتى على الأرض ؛ فقد طفئت النهار بطوله أفتش
عن حبة من أى نوع كان فلم أظفر بشيء » .

فأجابت النملة الثانية وقالت : « طالما سمعتُ
أبناء قبيلتى يتحدثون عن مكان يطلقون عليه اسم
الأرض الملساء الجرداء ، وما أكثر ما لهم فى
دورانها وحركتها من الآراء . وإنه ليلوح لى أننا نسير

اليوم عليها ، لأننى تجولتُ فى جميع منعرجاتها
وعطفاتها وخبرت بنفسى حقيقتها .

فرفعت النملة الثالثة رأسها وقالت : « أيتها
الصديقتان ، نحنُ الآن واقفات على أنف النملة
العظمى — النملة الجبارة اللامتناهية ، التى تعاظم
جسمها حتى عجزت عن رؤيته عيوننا ، واتسع ظلها
حتى قصرت عن استقصائه مقاييسنا ، وارتفع
صوتها حتى كَلَّت عن سماعه آذاننا . هذه هى النملة
الأزلية المائلة الأرجاء بلا نهايتها . »

وعندما فرغت النملة الثالثة من كلامها ، نظرت
كلٌ من رفيقتيها إلى الأخرى وضحكتا من حديثها .
وفى تلك اللحظة تحرَّك الرجل فى رقدته ، فرفع يدهُ
وحكَّ أنفه فانسحقت النملات الثلاث تحت أصابعه .

حفار القبور

بينما كنت يوماً أدفنُ ذاتاً من ذواتي الميتة ، إذ
وقف بي حفار القبور وقال لي :
« أنت هو الرجل الفرد الذى وقع بقلبي ، دون
جميع الذين يأتون إلى هذه المقبرة » .
فقلت له : « لقد سرّنى قولك يا صاح ، ولكن
لماذا وقعتُ بقلبك دون سواى من الناس ؟ » .
فأجابنى قائلاً : « إن سواك يأتى باكياً ويعود
باكياً .. أما أنت فإنك تجىء ضاحكاً وترجع
ضاحكاً » .

* * *

على درجات الهيكل

رأيتُ في مساء أمس امرأة جالسة على
درجات الهيكل .

وكان جالساَ معها رجلان ، واحدٌ عن يمينها
والآخر عن يسارها ينظران إليها .

وقد لاحظت متعجباً أن وجنتها اليمنى كانت
شاحبة ، وأن وجنتها اليسرى كانت متوردة .

* * *

المدينة المباركة

تُخبرُ في حداثتي عن مدينة كان جميع الناس يعيشون فيها وفق تعاليم الكتاب ، فقلت لنفسي : « لأسعين إلى تلك المدينة سعياً ، وأحظى بما فيها من البركة العليا » .

وكانت المدينة بعيدة ، فأعددت للسفر كامل العدة . وبعد مسير أربعين يوماً أشرفت عليها . وفي اليوم التالي دخلتها فإذا كل سكانها أعور أقطع . فأخذتني الحيرة وقلت لنفسي : « وهل على كل من يعيش في هذه المدينة المقدسة أن يكون أعور أقطع ؟ » .

ثم لحظت أن القوم كانوا ينظرون إليّ بدهشة
أعظم من دهشتي .. لأنهم هم أيضاً كانوا متعجبين
من عينيّ ويديّ .

وفيما هم يتحدثون سألتهم قائلاً : « هل هذه
هي المدينة المقدسة ، حيث يعيش كل إنسان وفق
تعاليم الكتاب ؟ » .

فقالوا : « نعم ، هذه هي المدينة » .
فقلت لهم : « وماذا حلّ بكم ؟ أين عيونكم
اليمنى وأيديكم اليمنى ؟ » .

فرثي الشعب لحالتي ، وأشفقوا على جهالتي
وقالوا لي : « تعال وانظر » .

ثم قادني واحد من متقدميهم إلى داخل الهيكل
القائم في وسط المدينة .

وعندما دخلت الهيكل رأيت في الصدر راية

من العيون والأيدى الذابلة ، فقلت لهم والدهش
أخذ بي كل مأخذ : « بربكم قولوا لى أى غازٍ
سفاح أغار عليكم ، فحكم بقطع أيديكم وقلع
عيونكم ؟ » .

فإنَّ الجميعَ بمرارة متعجبين من جهلى ، ودنا
منى أحدُ شيوخهم وقال لى : « يا ابنى ، إنما نحن
الذين فعلنا ذلك بأنفسنا ، لأن الله سلطنا على الشر
الذى كان حالاً بنا ، فاستأصلنا جرثومتَهُ ؟ » ثم
قادنى إلى مذبح عالٍ وجميعُ الشعب يتبعنا ، وهناك
أشار بأصبعه إلى آية محفورة فوق المذبح ، وطلب
إلى أن أقرأها فقرأت :

« إذا كانت عينك اليمنى تشكُّكُ فاقْلَعْهَا
وألْقِهَا عَنْكَ ، فخيرٌ لك أن يهلك أحدُ أعضائك
ولا يُلقى جسدك كله فى جهنم . وإذا شكَّكتك

يدك اليمنى فاقطعها وألقها عنك ، لأنه خيرٌ لك أن
يهلك أحدُ أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في
جهنم . »

فأدركتُ إذ ذاك سرَّهم ، وصرخت بهم قائلاً :
« أليس بينكم رجلٌ أو امرأةٌ بعينين أو يدين ؟ »
فأجابوا قائلين : « كلا ! ليس بيننا أحدٌ سوى
الصغار الذين لم يبلغوا بعدُ رُشدَهم ، ليقرأوا
الكتاب ويعملوا بوصاياهم . »

وعندما خرجنا من الهيكل أسرعْتُ فغادرتُ
تلك المدينة المباركة ، لأنني كنت بالغاً رُشدى
وقادراً على قراءة الكتاب .

الإله الصالح والإله الشرير

اجتمع الإله الصالح مرةً بالإله الشرير على قنّة جبل . فقال الإله الصالح للشرير : « عِم صباحاً يا أخى » .

فلم ينبس الإله الشرير ببنت شفة ، فقال له الإله الصالح : « يلوح لى أيها الزميل أن مزاجك متعكّر اليوم » .

فأجاب الإله الشرير قائلاً : « نعم ، أنا مستاء جداً لأن القوم فى هذه المدة الأخيرة صاروا لا يميزون بينى وبينك ، وكثيراً ما أسمعهم ينادوننى باسمك ، ولا أكّرة على نفسى منك ومن اسمك ! » .

فقال له الإله الصالح : « إن هذا هو ما يحدث
لى أيضاً فى كل يوم أيها العزيز ، فإن كثيرين من
الناس ينادوننى باسمك ويحسبوننى إياك » .
فمضى الإله الشرير فى سبيله وهو يحرق الأرم
فى قلبه ، لاعناً حماقة الإنسان وجهله .

* * *

فى خيبتى غلبتى

يا خيبتى ، يا خيبة ! يا وحدتى وانفرادى .
إنك لأعزُّ لى من ألف انتصار ، وأحلى على قلبى
من كل أمجاد الأقطار .

يا خيبتى ، يا خيبة !

يا معرفتى لنفسى واحتقارى لذاتى ، بك أعرف
أننى لا أزال فتياً سريع الخطى ، فلا تغرينى أكاليلُ
الغار الذابلة الفانية . بك قد حظيتُ بوحدتى
وانفرادى ، وتذوّقتُ لذة فرارى واحتقارى .

يا خيبتى ، يا خيبة !

يا سيفى البتار وترسى البراق ، قد قرأت فى

عينيك : .

أن الإنسان متى جلس على عرش الملك فقد
صار عبداً ،

ومتى أدرك الناس أعماق روحه فقد طوى
كتاب حياته ،

ومتى بلغ أوج كماله فقد قضى نحبهُ ؛
بل هو كالثمرة إذا نضجت سقطت واندثرت .
يا خيبتى ، يا خيبة ! يا رفيقى الباسل الودود .
أنت وحدك تسمعين إنشادى وصراخى وسكوتى ،
وليس غيرك بمحدثى عن خفقان الأجنحة وهدير
البحار ، وعن قذائف البراكين الشائرة فى دوامس
الليالى .

أنت وحدك تتسلقين صخور نفسى الجلمودية
الشامخة .

يا خيبتى ، يا خيبة ! يا شجاعتى التى
لا تموت .

أنت تضحكين معى فى العاصفة ، وتحفرين
معى قبوراً لما يموت منى ومنك ، وتقفين معى أمام
وجه الشمس بجلد وثبات ، فنكون معاً هائلين
راعبين .

* * *

الليل والمجنون

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل قائمٌ عارٍ ،
أمشي على طريقٍ نارٍ يمتدُّ فوق أحلامٍ نهاري .
وحيثما تمسُّ رجلى الأرض فهناك تنبثق سنديانة
جبارة » .

الليل : « كلا ، لست مثلى أيها المجنون .
فإنك ما زلت تتلفَّت إلى ورائك لترى آثار قدميك
على الرمال » .

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل صامتٌ
وعميق ؛ وفي قلب وحدتى تتكئُ إلهة تمخض

بمولود علوى تأتلفُ بكيانه الجنَّةُ والجحيمُ .
الليل : « كلا ، لست مثلى أيها المجنون .
فإنك لا تزال ترتعش أمام الآلام ، فيهلك سماعُ
أناشيد الهاوية » .

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل ، آبدُ جبار ،
فإن أذُنِّي مُثقلتان بنحيبِ الأمم المستعبدة ،
والتحسُّرِ على الممالك المهجورة » .

الليل : « كلا ، لست مثلى أيها المجنون ،
لأنك لا تزال تتخذُ ذاتك الصغرى رفيقاً وفياً ،
ولا تستطيع أن تتخذ لك من ذاتك الجبَّارة
صديقاً » .

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل صارمٌ وفظيع ؛
فإن قلبي لا يطرب إلا لرؤية لهيب المراكب

المحترقة في البحار ، وشفقتي لا تستلذان سوى
دماء الأبطال المصروعين في ساحات الوغى » .

الليل : « كلا لست مثلي أيها المجنون ، لأن
شوقك إلى أخت روحك ما برح متسلطاً عليك
يُسِيرُك كيف شاء ، ولم تصر بعد شريعة
لنفسك » .

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل ، جَذِلْ
وطروب ، فإن الرجل الذي يرافقني سكران أبداً
من الخمرة البكر ، والمرأة التي تصادقني ترتكب
الإثم وهي منشرحة الصدر » .

الليل : « كلاً لست مثلي أيها المجنون . لأن
روحك مُقَنَّعة بقناع ذي طيات سبع ، وأنت للآن
لم تحمل قلبك على كفك » .

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل ، صبورٌ
وكئيب ، فإن في صدرى ألوفاً من قبور المحبين
الذين ماتوا مخلصين ، فحنطتهم الدموع وكفنتهم
القبلات الذابلة » .

الليل : « وهل أنت مثلى ؟ أحقاً أنت مثلى أيها
المجنون ؟ وهل تستطيع أن تمتطى العاصفة جواداً
وتمتشق البرق حُساماً ؟ » .

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل ، أنا مثلك
قديرٌ عظيم ، وقد بنيتُ عرشي على آكام الآلهة
الساقطة ، وجعلتُ الأيام تمر أمامي صاغرة ، تقبل
أهداب ثوبى من غير أن تجرؤ على التطلع فى
وجهى » .

الليل : « هل أنت مثلى يا ابن قلبى الدامس

المدلهم ؟ هل أنت مثلى ؟ وهل تخطر لك أفكارى
الجامحة ، أم تتكلم لغتى الواسعة البيان ؟ «
المجنون : « بلى ، إننا شقيقان توأمان أيها
الليل ، فأنت تكشف مكنونات اللانهاية ، وأنا
أكشف مكنونات نفسى » .

* * *

الوجوه

رأيت وجهاً يظهر بألف مظهر ، ووجهاً مظهره
واحدٌ أبداً كأنما قد سبك في قالب .

ورأيتُ وجهاً قدرْتُ أن أقرأ تحت طلاوته
الظاهرة بشاعته المستترة ، ووجهاً ما رأيتُ روعة
جماله المحتجب حتى رفعتُ قناعه الظاهر .

ورأيتُ وجهاً شيخاً قد تجعد ولكن على
لا شيء ، ووجهاً ناعماً قد ارتسمت على ملامحه
جميع الأشياء .

أنا أعرف الوجوه ، لأننى أنظر إليها من خلال
ما ينسجه بصرى فأرى الحقيقة التى وراءها
بباصرتى .

البحر الأعظم

ذهبتُ ونفسي إلى البحر العظيم لنستحم بمائه .
وعندما وصلنا إلى الساحل طفنا نبحث عن مكانٍ
مستورٍ عن الأنظار .
وفيما نحن نمشي ، رأينا رجلاً جالساً على
صخرةٍ غبراءٍ وفي يده كيسٌ يأخذ منه حفنات من
الملح ويرمي بها إلى البحر .
فقلت لي نفسي : « هوذا المتشائم الذي
لا يرى من الحياة سوى ظلها . فلتترك هذا المكان
لأننا لا نستطيع أن نستحم أمامه » .
فتركنا ذلك المكان وسرنا إلى أن بلغنا جَوْناً في

الشاطيء ، فإذا برجل واقف على صخرة بيضاء وفي
يده صندوقة مرصعة بالجواهر ، يتناول منها قطعاً
من السكر ويرمي بها إلى البحر .

فقلت لى نفسى : « هوذا المتفائل الذى
يستبشر بما لا بشر فيه . فيجب أن لا يرى جسدينا
العارين » .

فتابعنا مسيرنا حتى بلغ بنا إلى شاطيء قريب ،
فرأينا رجلاً يلتقط أسماكاً ميتة ويعيدها إلى الماء
بعطف وحنان .

فقلت نفسى : هوذا الإنسانى الشفيق ، الذى
يحاول إرجاع الحياة لمن فى القبور . فلنبتعد
عنه » .

فعبرنا به وسرنا إلى موضع آخر ، فرأينا رجلاً
يخطط ظله على المياه فتجئ الأمواج وتمحو

خطوطه ، ثم يعود فيخططه مرة بعد مرة .

فقلت لى نفسى : « هذا هو المتصوّف الذى يُقيم من أوهامه صنماً يعبدّه ، فلنتركه » .

فخلفناه وراءنا وسرنا إلى جونٍ صغير فى مكان آخر ، فرأينا رجلاً يكشط الزبد عن سطح الماء ويضعه فى كأس من العقيق .

فقلت لى نفسى : « هو ذا الخياليّ الذى يحوك من خيوط العناكب رداءً يلبسه ، وهو لا يستحق أن يرى جسدينا العاريين » .

ثم سرنا قليلاً فسمعنا بغتة صوتاً يقول : « هذا هو البحر ! هذا هو البحر العميق ! هذا هو البحر الواسع الجبّار ! » فسينا إلى حيثُ خرج الصوت ، فإذا برجلٍ قد ولى ظهره شطر البحر ووضع على أذنيه صدفةً كالقرن ، وقعد يُصغى إلى

ما تُرجعه من الصدى .

فقلت نفسي : « سِرُّ بنا فهذا هو الدهرُ الذى
ينصرف عن الكليات التى تتجاوز فهمه ، إلى
الجزئيات التافهة التى لا طائل تحتها » .

فخلفناه وراءنا وانطلقنا إلى موضع آخر ، فإذا
برجل منحني بين الصخور وقد غمر رأسه بالرمل ،
فقلتُ لنفسي : « هلمى يا نفس لنستحم ههنا ،
لأن هذا الرجل لا يستطيع أن يبصرنا » .

فهزّت نفسي رأسها وقالت : « كلا وألف
كلا ! فإن هذا الذى تراه هو شرُّ خلق الله ، هو
الرافضى الخبيث الذى يحجب نفسه عن مأساة
الحياة ، فتحجب الحياة أفراسها عن قلبه » .

فبدت إذ ذاك على وجه نفسي أماراتُ الحزن
والأسى ، وبصوت تقطعه المرارة قالت : « هلم بنا

ننصرف من هذه الشواطئ ، لأنه ليس فيها مكان
خفي آمن نستحم فيه . فلن أرضى أن تعبث هذه
الريح بشعري الذهبي ، ولا أن يكشف هذا الهواء
عن صدري الناصع ، ولا أن يظهر هذا النور عري
المقدس .

حينئذ تركنا ذلك البحر ناشدين البحر الأعظم .

* * *

المصلوب

صرختُ بالناس قائلاً : « أودُّ لو تصلّبونني »
فقالوا : « ولماذا يكون دمك على رءوسنا ؟ »
فقلتُ لهم : « وكيف تفاخرون بأنفسكم إن لم
تصلّبوا المجانين ؟ » .

فقبلوا قولي وصلّبوني . فهذا الصلْبُ ثورة
نفسى . وعندما كنت معلقاً بين الأرض والسماء ،
رفعوا رءوسهم وحدّقوا بى وهم يتمايلون عجباً ،
لأن رءوسهم لم ترتفع قبلُ إلى ما فوق أقدامهم .
وفيما هم مجتمعون حول الصليب ، رفع واحدٌ
منهم صوته وقال لى : « عن أىّ ذنبٍ تُكفّرُ

يا هذا ؟ » .

ثم قال آخر : « برّبك قلّ لنا ما الذى دعاك إلى
التضحية بنفسك ؟ » .

وتلاه ثالث فسألنى قائلاً : « أوّ تظنّ أيها
الجاهل أنك تشتري مجد العالم بهذا الثمن البخس
الذى تقدمه ؟ » .

ثم قال رابع : « تأملوا ابتسامته الخرساء كأن لم
يحلّ به شيء ! وهل فى استطاعة بشر أن يتسم
لمثل هذا الألم ؟ » .

فالتفتُ إليهم إذ ذاك وقلتُ لهم : « اذكروا
ابتسامتى هذه ولا تذكروا شيئاً غيرها . فأنا
لا أكفر عن ذنب ، ولا أسعى إلى تضحية ،
ولا أرغب فى مجد ، وليس لى ما أصفح عنه .
ولكننى قد عطشتُ فسألتكم دمي شراباً . وهل من

شرابٍ يبردُ غلةَ المجنون سوى دمه ؟ أجل !
و كنتُ أبكم فسألتكم الجراح أفواهاً ، و كنت
سجيناً في ظلمة أيامكم ولياليكم فالتمسْتُ سبيلاً
يؤدى بي إلى أيام أبهى من أيامكم وليالٍ أسعد من
لياليكم .

« وها أنا ذا ماضٍ الآن إلى حيث مضى
كثيرون ممن صُلبوا قبلى . ولكن لا يخطرُ لكم أننا
معاشر المصلوبين نعبأ بصلبكم ، لأننا قد قُدِّر لنا أن
نُصلب من جبايرة أشدّ منكم قدرةً وبطشاً بين
الأرضين الدنيا والسماوات العليا » .

* * *

الفلكى

رأيتُ وصديقاً لى .. أعمى جالساً فى ظلال
الهيكَل وحده . فقال لى صديقى : « هو ذا أحكم
رجل فى قومنا » .

فتركتُ إذ ذاك صديقى ودنوتُ من الأعمى
فحييته ، وقعدتُ بجانبه أجازبة أطراف الحديث .
وبعد هنيهة سأله قائلاً : « منذُ كم أنت أعمى
يا سيدى ؟ » .

فأجابنى وقال : « منذُ ولادتى يا بُنى » .
فقلت له : « وأى مذهب من مذاهب الحكمة
تتبع ؟ » .

فأجاب قائلاً : « أنا فلکی منجم » .
ثم أشار بيده إلى صدره وزاد قائلاً : « إنني
أرصد هذه الشمس وهذه الأقمار وهذه
النجوم » .

* * *

الحنينُ الأعظم

ها أنا ذا جالسٌ بين أخى الجبل وأختى البحر ،
ونحن الثلاثة واحدٌ فى عزلتنا ، تربطنا محبةٌ عميقةٌ
قويةٌ غريبةٌ .

محبةٌ أعمق من أعماق أختى ، وأقوى من قوة
أخى ، وأغرب من غرائب جنونى .

وكم هنالك من دهورٍ تقضت قبل أن بددَ الفجرُ
الأول دياجيرَ الظلمةِ عنا ، فرأى أحدنا أخاه .

قد شاهدنا ولادةً كثيرٍ من العوالم ، واكتمالها
وانحلالها ؛ بيد أننا أحداثٌ تواقون بعدُ .

أجل ، نحن أحداثٌ تواقون ، ولكننا وحيدون
مهملون .

نتكى متعانقين عناقاً أبدياً ، ولكننا غير
مستريحين . وهل من راحةٍ لشوقٍ مستعبدٍ وشهوةٍ
لا تنفذ ؟

أين إله النار المتلهّب فيدفي مضجع أختي ؟
بل أين إله الغيث الفياضة فتخمد براكين
أخي ؟

وأنا أشقى الاثنين . من أين لي المرأة التي
تتسلط على قلبي ؟

في سكينة الليل تردّد أختي في أحلامها اسم إله
النار المجهول لتدفئتها .

وينادي أخي الإله الغيث القصية لتبريد غلته .
أما أنا فمن ترى أنادي في غفلتي ؟

لست والله أدري ! لست والله أدري !
ها أنا ذا جالسٌ بين أخى الجبل وأختى البحر ،
ونحن الثلاثة .. واحدٌ فى عزلتنا ،
تربطنا محبةٌ عميقةٌ قويةٌ غريبةٌ .

وَرِيقَةُ عَشْبٍ وَوَرَقَةُ خَرِيفٍ

قالت وريقة عشب لورقة خريف : « إنك
تُحدِثين بسقوطك جلبَةً فتبعثرين أحلام شتائي » .
فأجابتها الورقة مغتظة : « أيتها الدنيئة أصلاً
وفصلاً ، الفضة المعقودة اللسان . من أين لك
الأحلام وأنت ملتصقة بقذارات الغبراء ، بعيدة عن
موسيقى الفضاء ، لا تُميزين بين الغناء
والمُواء ؟ » .

قالت ورقة الخريف ذلك ، وهبطت على
الأرض فنامت .

وعندما جاءَ الربيعَ أفاقت من نومها ، فإذا بها
وُريقة عشب .

ثم أقبل الخريف ووافتها هجعة الشتاء ، فنثر
الهواء حواليتها أوراق الأشجار الذابلة فتململت في
ذاتها قائلة : « أف من أوراق الخريف الثقيلة . إنها
تُحدِثُ بسقوطها جَلْبَةً وضجيجاً فتبعثر أحلام
شتائى ! » .

* * *

العين

قالت العين يوماً لرفيقاتها الحواس : « إننى أرى وراء هذه الأودية جبلاً مبرقعا بالغيوم ، فما أجمله جبلاً ! » .

فأصغت الأذن هنيهة لحديثها ثم قالت لها : « أين ذلك الجبل الذى تنظرين ؟ إننى لا أسمع صوته » .

ثم قالت اليد : « أما أنا فعبتُ أحاول أن أشعر به أو ألمسه . فليس هنالك جبل ألته » .

وقال لها الأنف : « إننى لا أستطيع أن أفهم

كيف يوجد الجبل ، وأنا لا أقدر أن أسمه . ألا إن وجوده لمستحيل .

فتحولت العين إلى جهة أخرى ضاحكة في ذاتها . أما الحواس الأخرى فعقدن مجلساً بحثن فيه عما دعا العين إلى مثل هذا الضلال ، وبعد البحث الدقيق قررن بإجماع الآراء « أن العين قد خرجت ولا شك عن صوابها » .

* * *

العالمان

كان في مدينة (أفكار) القديمة عالمان .
وكان كلُّ منهما يمثِّ معرفة الآخر ويحتقرها .
وكان الأول كافراً والثاني مؤمناً .

وحدث أنهما اجتمعا مرة في ساحة المدينة ،
وظفقا يتجادلان ويتجاجان أمام أنصارهما في
وجود الآلهة أو عدم وجودها . وبعد أن حمي
وطيس الجدال بينهما بضع ساعات ، مضى كلُّ
منهما في سبيله .

وفي ذلك المساء بعينه ، ذهب الكافر إلى
الهيكل وجثا على ركبتيه أمام المذبح مستغفراً

الآلهة عن جموح ماضيه ، وصار مؤمناً .
وفي الساعة نفسها أخذ المؤمن كتبه المقدسة
فحرقها في ساحة المدينة ، وصار زنديقاً كافراً .

* * *

عندما ولدت كآبتي

عندما وُلِدْتُ كآبتي أرضعتها حليب العناية ،
وسهرتُ عليها بعين الحب والحنان ،

فنمت كآبتي كما ينمو كل حيٍّ .. قوينة جميلة
تفيضُ بهجة وإشراقاً .

فأحببتُ كآبتي وأحببتني كآبتي . وأحببنا معاً
العالم المحيط بنا ؛ لأن كآبتي كانت رقيقة القلب
عطوفاً فصيرت قلبي رقيقاً عطوفاً .

وعندما كنا نتحدث ، أنا وكآبتي ، كنا نتخذُ
الأحلام أجنحةً لأيامنا ومناطق لليالينا . لأن كآبتي

كانت فصيحة طليقة اللسان فصيرت لسانى فصيحاً
طلقاً .

وعندما كنا نغنى معاً ، أنا وكآبتى ، كان
جيرانا يجلسون إلى نوافذهم مُصغين إلى غنائنا ،
لأن غناءنا كان عميقاً كأعماق البحر ، وغريباً
كغرائب الذكرى .

وعندما كنا نمشى ، أنا وكآبتى ، كان الناس
يَرنونَ إلينا بعيونٍ تشعُّ حباً وإعجاباً ، متحدثين بنا
بأرق الألفاظ وأحلاها ؛ غير أن بعضاً منهم كانوا
ينظرون إلينا بعيون الحسيد ، لأن الكآبة كانت
منقبة محمودة ، وأنا كنتُ مُباهياً فخوراً بالكآبة .
ثم ماتت كآبتى كما يموت كل حيّ ، وبقيتُ
أنا وحدى مفكراً متأملاً .
وها أنا ذا أتكلم الآن فتستقل أذناى صوتى ،

وأنشدُ فلا يصفى أحدٌ من جيراني لإنشادي ،
وأطوف في الشوارع فلا يعباُ أحدٌ بي ؛ غير أنني
أتعزّي إذ أسمعُ في منامي أصواتاً تقول متحسرة :
« انظروا ! انظروا ! فهنا يرقُدُ الرجل الذي ماتت
كآبته » .

* * *

وعندما ولدت مسرتي

وعندما وُلِدْتُ مسرتي حملتها على ذراعي ،
وصعدتُ بها إلى سطح بيتي أنادي قائلا : « تعالوا
يا جيرانى ومعارفى ، تعالوا وانظروا ! فقد وُلِدَت
مسرتي اليوم ، تعالوا وانظروا فيض مسرتي
الضاحكة أمام الشمس » .

وشدَّ ما كان دهشى لأنه لم يأتِ أحدٌ من
جيرانى ليرى مسرتي .

وظللت سبعة أشهر أعلن مسرتي للناس بكرة
وأصيلا على سطح بيتي ، ولكن لم يُصغِ أحدٌ قطُّ
إلى صوتي . فبقيتُ ومسرتي وحيدَين مُهمَلين

لا يعبأ أحدٌ بنا .

وما مرَّ على ذلك سنةٌ حتى سئمتُ مسرتي
حياتها فامتقع لونُها واعتلتُ ، إذ لم ينبض بحبها
قلبٌ سوى قلبي ، ولم يقبلَ فمها سوى فمي .
فقضتُ مسرتي في وحشتها ، وأمسيْتُ
لا أذكرها إلا عندما أذكرُ كآبتي .

وما الذكرى سوى ورقة خريف لا ترتعش في
الهواء هنيهة ، حتى تكفَّنَ بالتراب دهرًا .

العالم الكامل

يا إله النفوس الضائعة أيها الضائع بين الآلهة
استمعني ! أيها القدر الرحيم الساهر على نفوسنا
التائهة المجنونة أصغ إلي ! فإني وأنا ناقص أعيش
بين الكاملين من البشر . أنا ، أنا البشرية
المشوشة ، السديم المضطرب العناصر اتخطر بين
عوالم تامة من شعوب قد كملت شرائعهم ،
وتنزهت نظمهم ، وتنسقت أفكارهم ، وترتبت
أحلامهم ، وتسجلت رؤاهم في الأسفار
والدواوين .

رباه ! إن هؤلاء الناس يقيسون فضائلهم
بالمقاييس ، ويزنون خطاياهم بالموازين ، ولديهم

سجلات وفهارس لما لا يُحصى من التوافه
والنقائص التى ليست بالخطايا فتُعرف ،
ولا بالفضائل فتُصنف .

ويقسمون أيامهم ولياليهم إلى أقسام مقنّنة
مرتبة ، فيفعلون كل شيء فى حينه على وفق
ما يخطر لهم . فالأكل والشرب والنوم وكساء
العرية ثم السامة والضجر — كل فى حينه .
والعمل واللعب والغناء والرقص ثم الاستراحة
عندما تحينُ ساعتها .

الافتكار فى هذا والشعور بذاك ، ثم العدول عن
الافتكار والشعور عندما يشرق نجم الأمل السعيد
فوق الأفق البعيد .

سلبُ الجار بثغرٍ باسم ، ومنح العطايا بيد تتوقع
الثناء والشكر ، ثم المديحُ بفطنة ، والملامة بترؤ ،

وقتل النفس بكلمة ، وإحراق الجسد بقبلة ،
وغسل اليدين عند المساء كأن لم يكن هنالك من
شيء .

المحبة بتقليد مطروق ، والتسليّة على منوال
مسيوق ، وعبادة الآلهة كما يحقّ ويليق ،
والاحتيال على الشياطين ، والمكر
بالمكرين — ثم نسيان كل ما جرى وصار ، كأن
الذاكرة حلم من أحلام الأغرار .

التصوّر لغاية ، والتأمل بعناية ، والمسرة
بدراية ، والتألم بوقاية ، ثم إفراغ كأس الآمال
رجاء أن تملأها الأيام في المال .

رباه ، رباه ! إن جميع هذه يسبقُ الفكر فيحبّلُ
بها ، والعزيمة فتلدها ، والدقة فتربّيها ، والنظام
فيسودّها ، والعقل فيديرها — ثم تُنحر وتُلحد في

زوايا سكيئة النفوس ، فتبقى قبورها الموسومة
بالعلامات والأرقام ، عظة لنا ولجميع الأنام .

أجل ، هذا هو العالم الكامل الذى قد بلغ
أوجهُ ، عالمُ الغرائب والمعجزات .. بل هو أنضج
ثمرة فى جنان الله وأسمى عالم بين عوالمه . ولكن
لِمَ أنا ههنا يا رب ؟ لِمَ أنا ههنا وأنا ثمرةٌ عجباء لم
تنل بعد شهوتها من النماء ، وعاصفة صماء هوجاء
لا شرقاً تبتغى ولا غرباً ، وذرة هائمة تائهة من
كوكب محترق ثائر ؟

لِمَ أنا ههنا ؟ لِمَ أنا ههنا ؟ يا إله النفوس
الضائعة ، أيها الضائع بين الآلهة ؟

* * *

« انتهى المجنون »

دار العرب

للبستاني

تأسست عام ١٩٠٠

٢٨ شارع الفجالة - القاهرة

صدر حديثاً:

١٠٠٠

• العملات العربية

ARABIC COINS: STANLEY LANE - POOLE

٥٠٠

• حريت النساء .. لطفه حسين

١٥٠

• الزقاقوي رديوانه المفقود لهدل ناجي

• صحف بونابرت في مصر

١٠٠٠

١٧٩٨ - ١٨٠١ لصدر الدين البستاني "جزآن"

٤٠٠

• رباعيات الخيام .. ترجمة البستاني ومقدمة النشاري

THE RUBAIYAT OF OMAR KHAYAM E. FITZGERALD

١٠٠

• همسة في عين فاطمة - عبد الوهاب داور

البريد مجانياً - خصم خاص للندرة النثر - ويرسل الفهرس مجاناً لكل طالب

الناشر: دار العرب للبستاني ٢٨ - الفجالة ٢٥ - ٩٠٨

٨٥ عاماً

في خدمة الكتاب العربي

أول طريقة من نوعها في العالم العربي !
اقرأ الكتاب وإذا لم يعجبك رده للناسخ واسترجع نقودك !!!

أمثال الشرق والغرب

١/ مليون
مثل من

تأليف المفطور له -
أشخ يوسف البستاني
صلاح الدين البستاني



لديستاني
٩٨ شارع المنيرة - القاهرة

٥٦-٩٥

دار العرب

الناسخ

كتاب جمع ما دار على السنة القلاسة
والحكما من مشاهير الشرق والغرب

(الطبعة الثالثة)

مع الباعة والمكتبات

AL - ARAB BOOKSHOP

28, FAGGALAH St. - Tel. 908025

CAIRO - EGYPT

A. R. E.

Dear Librarian,

Our firm, al-Arab Bookshop, in Cairo has taken the initiative-Since the end of the 19th century, in furnishing universities, scholars and booksellers with the production of books, serials and manuscripts .

It is noteworthy that the founder, the late Cheikh Youssef T. Boustany is considered among the pioneers in Egypt who did exert an enormous effort in building good relations with most of the famous Orientalists and Arabists all over the world .

Today, al-Arab Bookshop has been selected-since 1961-to furnish The Library of Congress PL 480 with monographs, serials and out of print works from the Arab World .

Yours Faithfully,
Saladin Boustany .
The Manager

رقم الإيداع ١٩١١ — ٨٥
الترقيم الدولي X — ٠١٣٤ — ١١ — ٩٧٧

